جامـــعة واســـط
مجلـــــــة كليـــــــة التربيـــــة

العـدد السادس والأربعون ج١
شباط / ٢٠٢٢

أثر الإحالة في تناسق النَّصّ القرآني آيات الإحسان والإساءة مثالاً *

الباحث: وسام عبد الرزاق جابر **أ.م.د. عِماد جبَّار كاظِم داود**
جامعة واسط / كلية التربية التربية للعلوم الانسانية
Wisamalzrqany313@gmail com

الملخَّص

تغطي الإحالة في الدَّرس اللساني الحديث مساحة واسعة عند الاستعمال اللُّغوي؛ وذلك بوصفها اداة مهمة من ادوات الاتساق النحوي؛ إذ تعمل ومن خلال ادواتها ووسائلها على تماسك النّصّ / الخطاب الذي ترد فيها، وتعمل كذلك على تنويع الاساليب التي يمكن أن يلجأ إليها المنشئ / المتكلّم وكما تحفز المتلقِّي/ المخاطب على معالجة النّصّ / الخطاب عند التعامل معه ومعالجته؛ فتكون الإحالة في هذه الحالة ميدان يلجأ إليه كل من المنشئ والمتلقي لإبراز مقدرة كل واحد مهما في الانتاج من جهة المنشئ والاستعمال من جهة المتلقي.

الكلمات المفتاحية: الإحالة، الاتساق، الإحسان، الإساءة، النَّصّ/ الخطاب

The role of referral in consistency of the Quranic text

Wesam Abd arzak Jabir **Dr .Emad Jabber Kadhim**
Wisamalzrqany313@gmail com

Abstract

The referral in the Tunisian study is covered by a wide space in the language of use as a tool than a sculpture consistent tools that operates through its tools and means of managing the text you are also working on the diversification of the methods resorts to the speaker and as the branch of the text processing. The referral is a field of the originator and the recipient to the exception of the estimate of each one in the output of the one established and use of the receiver

* بحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة بـ (الإحسان والإساءة في الخطاب القرآني مقاربة نصّية تداوليّة)

المقدِمة

الحمدُ لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصَّلاة والسَّلام على خيرته من خلقه سيِّدنا محمد وآله الطَّيِّبين الطاهرين.

أمّا بعد:

قيام اللُّغة إنما يكون على تلك العلاقات التي تقع بين الاطراف الحوارية بوصفها ذوات حسية من جانب ومن جانب آخر بين الحيثيات المجردة المكونة للنَّصّ / الخطاب، سعياً حثيثاً للإنجاز المفهوماتي التواصلي المقصود؛ ومن تللك العلاقات اللُّغوية الإحالة فهي تثري النَّصّ/ الخطاب وتزيد من تماسكه؛ وذلك من خلال ادواتها فالإحالة من القضايا التي" شغلت كل من اهتم بالنشاط الفكري عند الإنسان من الفلاسفة والمناطقة وعلماء النفس وشغلت كذلك كل من اهتّم بالنشاط اللُّغوي عنده من النحاة والبلاغيين وعلماء اللسان بمختلف فرعه وغيرهم" (الزنّاد، 1993، 15) ، فمسألة الفهم الكامل للمدونة اللُّغوية التي يسعى لها مستهلك النَّصّ/ الخطاب عند كل مركز بؤري يتعامل معه، وكل جزء ولو كان بسيط من اجزاء النَّصّ/ الخطاب يُعد مركز بؤري يمكن أن يكون ذو أهمية للأطراف الحوارية؛ فعند ملاحظة الإحالة من خلال أدواتها سواء أكانت الضمائر، أو اسماء الإشارة، أو الاسم الموصول، أو ال التعريف والاتجاهات المتعددة التي تنطلق إليها لجذب مكملات الفهم؛ نشعر عندئذ بأهميتها وهذا ما يدفع للقول بأنها أوسع أدوات الاتساق وأكثرها فاعلية.

فالإحالة بهذا الوصف تبرز مقدرة المنشئ/ المتكلّم في التعامل مع نظام بدائلي من جهة ، ومن جهة أخرى تبرز ايضاً مقدرة المتلقّي/ المخاطب في ايجاد النسبة بين اواصر النَّصّ/ الخطاب وإعادة الربط بين الاجزاء المتباعدة من أجل تكامل الافكار وحصول الفهم.

والشيء الذي يجب أن يذكر أن موضوع الإحسان والإساءة في الخطاب القرآني كان مجالاً رحباً لتطبيق الإحالة والاتساق الذي حققه في تماسك النصوص التي وردت فيها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

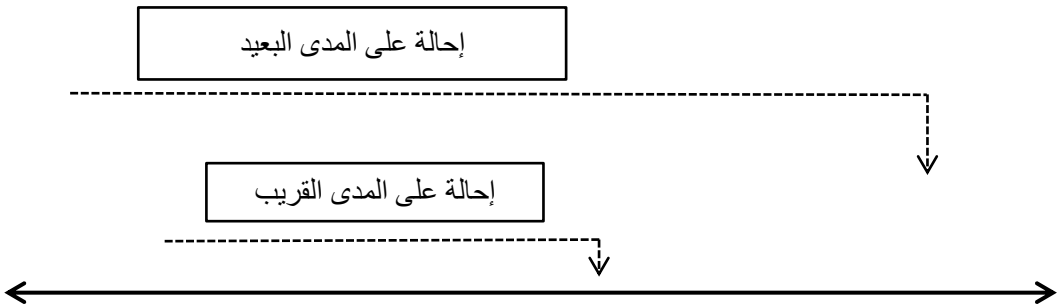

د – أدوات الإحالة :

اعتمدت الإحالة في نفاذها داخل النصوص من خلال جملة من الأدوات أُطلق عليها" العناصر الإحالية " وهي ألفاظ " لا تمتلك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب. فشرط وجودها هو النصّ . وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر " (الزنّاد، 1993، 118) .

وهذه الأدوات هي " الضمائر ، وأسماء الإشارة ، والاسم الموصول " (خطابي، 2006،) 19– 18، وأضاف الاستاذ محمد خطابي عنصراً رابعاً لما تقّدم من الأدوات هي (أدوات المقارنة) (خطابي، 2006، 19) ويقصد بها " كلّ الألفاظ التي تؤدي إلى المطابقة أو المشابهة أو الاختلاف أو الإضافة إلى السابق كمًّا وكيفاً أو مقارنة " (عفيفي، دت، 24)، من قبيل أكبر من، أسوة بـ، علاوة على؛ وذلك يدخل في باب الإجمال والتفصيل وبيان سبب .

– الضمائر:

للضمائر كونها الصورة المبهمة لاسم قبله ومساحة بينهما مزية قد لا توجد في غيرها إذ إنها " تلعب دوراً هاماً جداً في علاقة الربط فعودها إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه ومن هنا يؤدي إلى تماسك أطراف الجملة " (حسّان، 2004، 113)، بل إن النحاة نظروا " لوسائل الربط الأخرى على أنها نائبة عن الضمير، على اعتبار أنّ الضمير هو الأصل في الربط، ومرادهم بالأصل أنّه الأكثر الشائع في الاستعمال، لا الأصل الذي تتفرع عنه فروع أخرى " (عبد اللطيف، 2003، 110)، ووجود الضمير داخل النَّصّ " يشير إلى تعلُّق الجملة الثانية بصاحب الضمير" (حميدة، 1997،153) .

وإبراز المعنى وتشكيله يعتمد على " وضع الضمائر داخل النَّصّ؛ إذ إنَّ هذه الضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي " (الفقي، 2000،1/ 161)؛ على شرطين أحدهما معرفة السامع بحيثيات القول وهو ما اشار إليه المبرد (ت ٢٨٥هـ) قائلاً: " وإنما صار الضمير

معرفة؛ لأنك لا تضمره إلا بعد ما يعرفه السامع؛ وذلك أنك لا تقول: مررت به، ولا ضربته، ولا ذهب، ولا شيئاً من ذلك حتى تعرفه، وتدري إلى من يرجع هذا الضمير " (المبرد، 2004، 4/ 280)؛ أمَّا الشرط الآخر الذي وضعه العلماء ويسهم في اكتمال عمل الضمائر في المنظومة اللغوية هو التفسير إذ " يشترط وجوباً في كلّ مضمرٍ ان يكون له مفسِّر مناسب يحكمه... إنَّ هذا التحكم يتمّ بصرف النظر عن موقع المفسِّر بالقياس إلى المضمر، سواء كان سابقاً عليه أو لاحقاً عليه " (الزنّاد، 1993، 123).

فعلى هذين الشرطين دور المتلقّي في التعامل مع النَّصّ وربط الضمائر بما يناسبها ويتم به المعنى وتستوى عنده الدلالة؛ إذ لا يقصر دوره على التلقي الجاف الخالي من التعامل مع النَّصّ وإعمال فكره فيه معرفة وتفسيراً وتأويلاً .

الإحالة بالضمائر :

سيختار البحث في باب الإحالة بالضمير موضوع الإحسان للوالدين وذلك لوروده في أكثر من موضع في النَّصّ القرآني، حتى أن القارئ يجد أن الإحسان كلفظ أكثر ما ورد متصاحباً مع لفظ الوالدين في خمسة مواضع متفرقة بلفظ "{ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً }" إلا في موضع واحد من هذه المواضع الخمسة ورد بلفظ "{ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً }"؛ فمن الإحالة بالضمائر في موضع الإحسان بالوالدين في قوله تعالى: "{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً }" (الإسراء، 23)، والخطاب" في قوله {رَبُّكَ} للنبيﷺ ... والقرينة ظاهرة. ويجوز أن يكون لغير مُعيّن فيعم الأمة. والمآل واحد " (أبن عاشور، دت، 67/15)؛ إذ احال الضمير هنا على شخص ﷺ أو غيره، وهي بحسب هذا التأويل فالإحالة هنا إحالة إلى سابق، كما وتعلق الضمير في { تَعْبُدُواْ} " بجميع الناس وهو تعريض بالمشركين " (أبن عاشور، دت، 67/15)، واحال الضمير هنا إلى محال إليه سابق داخل النَّصّ، وهو الانسان الوارد ذكره قبل هذه الآية ، واحال الضمير في{ إِيَّاهُ } إحالة واضحة إلى (الله) تبارك اسمه الوارد في الآية السابقة لهذه الآية مروراً بلفظ ربك؛ وكأن هناك تسلسل في الادوار، أيّ من اسم صريح إلى صفة إلى ضمير مما يعطي أسلوباً دلالياً .

أما الضمير في {عِندَكَ} ، فقد أحال على عنصر نصّي داخلي هو الانسان، أما الضمائر في { يَبْلُغَنَّ } و{ أَحَدُهُمَا } و { كِلاَهُمَا } و {الْوَالِدَيْنِ} وكأن هذه الضمائر تشبه حلقات متصلة تقود إلى ذي شأن مهم، واستمرت الإحالات على هذه المرجعيات في الآية التالية بنسق واحد في قوله تعالى: "{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً }" (الإسراء، 24)؛

فالضمير المستتر في { اخْفِضْ } احال إلى محال إليه سابق داخلي هو الانسان واحال الضمير في { لَهُمَا } على سابق داخل النصّ وهو الوالدين .

وكما يكون الإحسان بحق الوالدين عملاً إذ قد يتولّى" منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة " (الزمخشري، دت، 657/2) فيكون كذلك قولاً وذلك من خلال قوله تعالى: "{ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً }" (الإسراء، 24)، والإحالات هنا هي ذاتها بنفس المرجعية التي رجعت إليها تلك، فالضمير المستتر في{وَقُل} يرجع إلى مُحال عليه داخل النصّ الانسان، وكذلك الضمير في{ارْحَمْهُمَا} عائد على الوالدين، وأخيراً الضمير في{ رَبَّيَانِي } احال على الانسان المذكور سابقاً .

فهذه القراءة المزدوجة للنصّ القرآني؛ إذ تتم القراءة من خلال ملاحظة المرجع أو المُحال عليه من خلال ضميره؛ وهو بذلك يختزل النَّصّ ويُقرّب المعنى البعيد ويركز الدلالة بعد بُعد نظر من القارئ واستدراك للمعنى .

فكان الضَّمير بحق " في مواطن كثيرة هو الرابط الأقوى " (عبد اللطيف، 2003، 136)، كما أنه أفاد في ربط العناصر عن طريق شبكة علائقية بنواة النَّصّ (الفقي، 2000،166/1)، كما أنَّه ساهم في ربط أول النَّصّ بآخره على المستوى الافقي (قيّاس، 2009،109).

الإحالة بأسماء الإشارة :

لا يقل الدور الذي تؤديه أسماء الإشارة في مجال النصيات عن الأثر الذي اتخذه الضمير إلا أنَّه يشترك معه في أنَّه من المبهمات؛ وهذه الأسماء قاصرة إلى ما يشير إليها ذلك لأنها " لا تُفهم إلا إذا رُبطت بما تشير إليه " (الزنّاد، 1993،118)؛ فهذا الخط الوهمي الافقي بين أسم الاشارة والمُشار إليه ليجعل من النَّصّ مليء بشحنات تميز ذلك النَّصّ الذي تردّ فيه (حسّان، 2004،40)، فضلاً عن وظيفتها الأساسية " في توضيح مدى القُرْب، أو البُعْد من المتكلّم " (العقباوي، 2006،57)؛ كما ان تنوع عملها من الربط " القبلي والبعدي " (خطابي، 2006،19) جعل منها ذات مركزية وإن لم تكن مطلقة إلا أنها ذات تأثير؛ وذلك من خلال رمي المعنى إلى الامام أو انتشاله من الخلف واستحضاره أمام القارئ، وخير مثال على ذلك ما يُسمى " الإحالة الموسعة " وهي " إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل " (خطابي، 2006،19) أو ربما " الخطاب كله ؛ حيث إنه يشير إلى معلومات مسلمة لدى المتلقِّي، وهنا توجد إمكانية أن تصدق الإحالة على جملة كاملة أو جمل متوالية أو الخطاب كله، حيث تُنشّط الإحالة مساحة كبيرة من المعلومات بشكل موسع " (عفيفي، دت، 60)؛ وذلك ما سنلمسه عند التطرق إلى نماذج من النَّصّ القرآني .

نماذج قرآنية للإحالة باسم الإشارة :

لتعدد صور الإحسان في النصّ القرآني سواء أكان بلفظه أم بمرادفاته؛ يفرض على البحث اختيار مواضع معيَّنة لإجراء تطبيق عليه وإلا لكان أغلب النّصّ القرآني يصلح أن يكون مادة للتطبيق وذلك يحتاج جهد ووقت يتناسب معه وذلك غير متوافر الآن .

بناءً على ذلك اختار البحث موضوع الجزاء وعلاقته مع من احسن وكذلك علاقته مع من إساء إذ ورد لفظ "{كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}" في تسع مواضع قرآنية وورد بلفظ "{ذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ}" في موردين، ففي استعمال أسم الإشارة كذلك في قوله تعالى: "{ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }" (الإنعام، 84)، ربط اسم الإشارة {كَذَلِكَ} في هذه الآية الكريمة بين الجزاء والمحسنين إذ يجوز " أن تكون الإشارة هنا إلى الهدى المأخوذ من قوله {هَدَيْنَا} الأول والثاني، أي وكذلك الهدى العظيم نجزي المحسنين " (أبن عاشور، دت، 340/7)، أما " الاتيان بلفظ الإشارة البعيدة لتفخيم هذه الهداية " (الطباطبائي، 1997،250/7)؛ وقد يكون المعنى يتجه اتجاهاً تصاعدياً على نحو تكامليّ أي " أنهم أحسنوا فكان جزاء إحسانهم أن جعلناهم أنبياء " (أبن عاشور، دت، 340)؛ فكان الربط الذي اسهم به اسم الاشارة بين الهدى ومن احسن من الانبياء وبين الله سبحانه وتعالى صاحب الفيض واضحاً جلياً للقارئ لا يمكن الاستغناء عنه .

أما اسم الاشارة "ذلك" ففي قوله تعالى: "{لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ }" (الزمر،34) ، تبيّن الآية الكريمة حال من صدق بآيات الله تبارك وتعالى وجزاءهم " على إحسانهم الذي فعلوه في الدنيا، وأعمالهم الصالحة " (الطبرسي، 2009،333/8)، فربطت الاداة بين المحسنين، وهم " اولئك الموصوفون بأنهم المتقون " (أبن عاشور، دت،9/24) في ما تقدم من الآيات وبين ما لهم عند ربهم؛ إذ دلت الآية " اولاً على إقامتهم في دار القرب وجوار رب العالمين، وثانياً أن لهم ما يشاؤن فهذان جزاء المتقين وهم المحسنون " (الطباطبائي، 1997،261/17)؛ فالذي يبدو أن مقام(المحسنين)درجة أو منزلة رفيعة والقرآن الكريم يصرح بين الحين والآخر في مواضع متفرقة ببلوغ هذه الدرجة من قبل البشر؛ وفي ذلك تحريض على السعي لبلوغها .

الإحالة بالاسم الموصول :

عمل الاسم الموصول له نصيب من التسمية التي تُطلق عليه؛ فيعمل على الربط والتوصيل بين أجزاء النَّصّ بتفعيل خاصية الرجوع إلى الاسم الصريح واستبداله به لتوضيح ما كان مبهماً .

فاختيار هذا الاسم الموصول بدلاً عن غيره لغاية أشار إليها الاستاذ تمام حسان بقوله: " المسألة كما يتضح ليست مسألة إظهار ولا اسم ظاهر وإنما هي اختيار ضمير موصول ليحل في موقع ضمير شخصي بسبب مطابقة القصد وإختلاف اللفظ، وكلا الضميرين في النهاية عوض عن إعادة الذكر" (حسّان، 2003،141/1)؛ اذن إيراد الاسم الموصول كان تجنباً للإعادة المخلة وإظهار مقدرة المتكلم ومراعاة المتلقّي؛ مخافة أنْ يتسرب إليه الملل، كما إنَّ هذ التنوع الاستعمالي لأدوات اللُّغة يحافظ على الاستمرار بسرد الأحداث دون انقطاع يخل بتتابع تلك الاحداث وتركيبها (فرج، 2007،85)؛ مما يُسهم في ديمومة النصّ واتساق أجزائه .

وهي فضلاً عن وظيفة التعويض التي تقوم بها في النَّصّ؛ تقوم بدور الربط التركيبي من خلال حاجتها إلى مفسِّر يفسرها؛ وذلك بتفعيل خاصيّة الإحالة (الزنّاد، 1993، 118)؛ إذ وجود الاسم الموصول يفتقر تماماً للصلة التي تزيل الابهام عنه وذلك ما اشار اليه المبرد (ت ٢٨٥هـ) بقوله: " اعلم أنَّ الصلة موضِّحة للاسم؛ فلذلك كانت في هذه الأسماء المبهمة، وما شاكلها في المعنى؛ ألا ترى أنَّك لو قلت: جاءَني الذي، أو مررت بالذي لم يدْلُلْك ذلك على شيء حتّى تقول: مررت بالذي قام، أَو مررت بالذي مِنْ حاله [كذا وكذا]، أَو بالذي أَبوه منطلق. فإذا قلت: هذا وما أَشبهه وضعت اليَدَ عليه " (المبرد، 2004،193/3)؛ وبذلك تُستخلص الفائدة من أيّ تركيب يحتوي على هذه الاسماء المبهمة بالرجوع إلى ما يفسرها وإن كان ذلك إجراءً عقلياً لا فعلياً؛ فهذا الاغناء بعد الافتقار للاسم الموصول يجعله في حكم الاسماء التامة ذات الفعالية (أبن يعيش، 2001،371/2).

نماذج قرآنية للإحالة بالاسم الموصول :

وجود الاسم الموصول في النصّ القرآني يكاد يكون شاملاً فلا تخلو سورة من سوره إلا والاسم الموصول بضمن تراكيبها فمن ذلك قوله تبارك وتعالى: "{وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ }" (النحل، 30)، والاسم الموصول هنا يُحيل إلى المؤمنين وهي إحالة خارج النَّصّ؛ إذ لم يردّ في الآيات السابقة ذكر لهم ويمكن أن يكون المراد بهم " المؤمنون المعهودون في مكة " (أبن عاشور، دت ،141/14) ، أو هم " مطلق المؤمنين الذين اتقوا الشرك أو الشرك والمعاصي في الجملة " (الطباطبائي، 1997،12/ 234)، وصلة الموصول التقوى يمكن أن يتصف بها الطرفين على التقييد أو الإطلاق .

أمَّا الاسم الموصول {لِّلَّذِينَ} في قوله تعالى: "{لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ }" (النحل، 30)، فالإحالة هنا إلى سابق داخل النصّ وهم (المتقون)؛ فهو " من

الإظهار في مقام الاضمار توصيلاً بالإتيان بالموصول إلى وجه بناء الخبر، أي جزاءهم حسنة لأنهم احسنوا " (أبن عاشور، دت، 142/14)؛ وسياق الآيات القرآنية هنا في موضع طرح سؤال على المؤمنين المتقين وهذا الكلام في مقام الإجابة من الله سبحانه وتعالى أو هو تتمة قول المؤمنين (الطباطبائي، 1997،234/12).

الإحالات الخارجية والداخلية التي يُحيل عليها النَّصّ التي تبدو في الظهور بين الحين والآخر على نحو تنقلي ليس تتابعياً بما تحكمه الحاجة إلى ذلك الظهور والسياق؛ إذ لا نجد الإحالات دائماً خارجية فيكون النصّ خاوياً فقيراً، أو كلها داخلية فينقطع عن محيطه وكأنَّه جزيرة نائية؛ فإنّ هذا التنوع له فوائده في إبراز مقدرة المنشئ وتفعيل دور المتلقِّي – القارئ ويُنظر للنِّصّ على أنه عالم متكامل .

الإحالة بـ (أل) التعريف:

يحقّق التعريف بـ (أل) تماسكاً نصّياً، من خلال تحديد لفظة كانت قد ذكرت من قبل بصورة تنكير؛ وتلك الصورة التي بدت عليها أولاً لفتت انتباه القارئ من حيث عموميتها ولا مركزيتها؛ فأسهمت أداة التعريف (أل) بتأهيلها للدخول في عالم النَّصّ؛ إذ إنَّ هذه الاداة " تتجاوز ما يراه النحاة من تحويلها النكرة إلى معرفة فهي تتعدى ذلك إلى الربط بين الجمل ربطاً يشبه ربط الإحالة بالضمير. من حيث إنها تذكر السامع أو القارئ بشيء سبق ذكره، أو شيء معروف في الذهن جرى الكلام عليه أو الإشارة له في السياق " (خليل، 2010،236)، كما يمكن للتعريف بوصفه أمراً مضافاً للنَّصّ أن يشمل " أي عنصر من عناصر عالم النَّصّ في نطاق دلالي مربوط بمركز الضبط " (عفيفي ،دت،114)، وما تقّدم من قول يلمح إلى علاقة التعريف بمنشئ النَّصّ باعتباره المركز الذي ينطلق منه ذلك النَّصّ، وهو كلام لا يتصف بالعموم إلا أن له ما يطابقه بصورة جزئية .

وللأمر مشابه في غير اللغة العربية، وهو ما المحت إليه رقية حسن عند حديثها عن أداة التعريف (the) " فالتماسك النحوي لا يقتصر على الإحالة بوساطة الضمير، وإنّما تنشأ الإحالة باستخدام أدوات أخرى منها أداة التعريف. فإذا قرأنا الحوار الآتي :

- don’t go now the train is coming

لاحظنا أنَّ المتكلم استخدم أداة التعريف the للإحالة إلى قطار معيّن معروف للمتحدث والمتلقي، كان قد سلف الحديث عنه " (خليل، 2010،237)، وهو نوع من أنواع الاتفاق الذي يقع بين كلا الطرفين .

ويمكن أن نتبّين دور أداة التعريف (أل) الدلالي ومن ثم دورها في تماسك النص وذلك من خلال نزعها عما ترد فيه ونلاحظ بعدها انهدام ذلك التماسك أو اختلّ وجه من وجوهه (عفيفي ،دت، 116).

وقد تنبه علماء النحو لدور الألف واللام في النَّصّ الذي يردّ فيه، وذلك من خلال تقسيماتهم لها، إذ قسموها إلى العهديَّة والجنسيَّة (أبن يعيش، 2001،349/3)، كما قسمت العهديَّة إلى " معهودٍ ذهني أو ذِكْريّ " (أبن هشام، 2001،84) ، امّا الجنسيَّة فهي " أمّا أن تكون استغراقية، او مشاراً بها إلى نفس الحقيقة " (أبن هشام، 2001،84) ،ومن الألف واللام ما " تكون موصولة بمعنى الذي " (أبن يعيش،2001،378/2)، تقول:" هذا الضاربُ زيداً، والمراد: الّذي ضرب زيداً، وهذا المضروبُ والمراد الّذي ضُرب، أو يُضرَب " (أبن يعيش، 2001،378/2)، كما يمكن لبعض هذه الأنواع أن تربط " إذا كانت موصولة أو للجنس النسبي أو للعهد الذكري، ولكنها لا تربط إذا كانت للجنس المطلق أو العهد الحضوري أو الذهني لإشارتها في هذه الأنواع الأخيرة إلى حقيقة لا تشير إلى كيان آخر ولا إلى ما سبق ذكره " (حسّان، 2003،148/1)؛ لكن يمكن مناقشة ما تقدّم من كلام بأنه كلما تقلص السياق المقامي زاد الربط بين أجزاء النَّصّ باستعمال(ال)، والعكس صحيح؛ وذلك يعود إلى إمكانية التنقل بين أنواع الألف واللام الناتج عن ضيق وسعة المقام (الشاوش ،2001،1026/2)

نماذج من النَّصّ القرآني :

وقعت الإحالة بـ (أل) التعريف في موضوع الإحسان والإساءة في الخطاب القرآني؛ ففي أكثر من موضع من سورة الصافات ورد قوله تعالى: "{إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }" (الصافات، 121)؛ فضلاً عن ورودها في مواضع أخرى من النصّ القرآني عند ذكر قصص انبيائه عليهم السلام، والمعني: " أي نبقي عليهم الثناء الحسن " (القرطبي، 1988،61/15)؛ فإن لفظة { الْمُحْسِنِينَ } قد جاءت في هذا الموضع والمواضع الآخرى معرفة بـ :(أل) وهي تحيل احالة داخل النصّ إلى لفظة { مُحْسِنٌ }، التي جاءت نكرة في قوله تعالى: "{وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ }" (الصافات ، 113) ، أي: " ومن أولاد إبراهيم وإسحاق { مُحْسِنٌ } بالإيمان والطاعة " (الطبرسي، 2009، 271/8) ، فأيّ جزاء للمحسنين في النَّصّ القرآني يمكن إحالته إلى هذه الآية باعتبار أن جُلّ الأنبياء هم من ذرية إبراهيم وإسحاق عليهما السلام (أبن عاشور، دت، 7/ 342 – 337)

وينسحب إلى هذا الكلام كلّ ذكر اشتمل على الإحسان أو الإساءة إلى النفس أو إلى الغير؛ فتكرار هذا العناصر وربطها بذلك العنصر المركز من خلال الإحالة يشدّ النصّ بعضه إلى بعض ويشير ضمناً إلى وحدة المنبع الإلهي .

الخاتمة

كان للإحالة دور في تلك النصوص التي تردّ فيها؛ فهي تعمل على لملمت اطراف النَّصّ/الخطاب إلى بؤرة إبلاغية للمتلقّي تتركز عندها قضايا دلالية قصده المنشئ/ المتكلّم لغاية افهامية، وهذه البؤرة الحاضرة هي بدورها طرف لبؤرة أخرى ؛إذ إنَّ النَّصّ/ الخطاب مجموعة من البؤر الفكرية تتكاثف مع بعضها من خلال الإتكاء على بعضها البعض من خلال عناصر نصَّية ابرزها الإحالة، وذلك ما وجدناه عند مقاربة النَّصّ/ الخطاب الإحساني القرآني، فتُحيل تلك الألفاظ إلى غيرها في نسق لغاية عند المنشئ للوصول بالحدث اللُّغوية إلى اتم حالة من الفهم والتواصل والتغير.

المصادر

- **القرآن الكريم**
- أبن عاشور، محمد الطاهر، (دت)، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، دط.
- أبن هشام، جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف، (2001)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، أعتنى به؛ محمد أبو الفضل عاشور، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ط ١.
- أبن يعيش، موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، (2001)، شرح المفصل، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١.
- أبو زنيد، عثمان، (2020)، نحو النَّصّ إطار نظري ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث – أربد، ط١.
- بوجراند، روبوت دي، (1998)، النَّصّ والخطاب والإجراء، ترجمة: د. تمّام حسّان، عالم الكتب – القاهرة، ط١.
- حسّان، تمّام، (2003)، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، دك، ط٢.
- حسّان، تمّام، (2006)، خواطر في تأمل لغة القرآن الكريم، عالم الكتب – القاهرة، ط١.
- حسّام، تمّام، (2004)، اللُّغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب – القاهرة، ط٤.
- حسن، عباس، (2007)، النحو الوافي، مكتبة المحمدي – بيروت – لبنان، ط١.

- حميدة، مصطفى، (1997)، نظام الربط والارتباط في تركيب الجمل العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر – مصر، ط١.
- خطابي، محمد، (2006)، لسانيات النَّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب، ط٢.
- خليل، إبراهيم، (2010)، في نظرية الادب وعلم النَّصّ بحوث وقراءات، منشورات الاختلاف – الجزائر العاصمة – الجزائر، ط١.
- الزمخشري، جاد الله محمود بن عمر، (دت)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، دط.
- الزنّاد، الأزهر، (1993)، نسيج النَّصّ (بحث في ما يكون به الملفوظ نصَّاً)، المركز الثقافي العربي – بيروت، ط١.
- الشاوش، محمد، (2001)، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربيّة تأسيس" نحو النَّصّ "، المؤسسةّ العربيّة للتوزيع – تونس، ط١.
- شبل، عزة، (2007)، علم لغة النَّصّ النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب – القاهرة، ط١.
- الطباطبائي، محمد حسين، (1997)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي – بيروت – لبنان، ط١.
- الطبرسي، علي بن الفضل بن الحسن، (2009)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي – بغداد، ط١.
- عبد الراضي، أحمد محمد، (2011)، المعايير النَّصية في القرآن الكريم، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط١.
- عبد اللطيف، محمد حماسة، (2003)، بناء الجملة العربيّة، دار غريب – القاهرة، د ط.
- عفيفي، أحمد، (د ت)، الإحالة في نحو النَّصّ، ليّة دار العلوم – القاهرة، د ط.
- عفيفي، أحمد (2001)، نحو النَّصّ اتجاه جديد في الدّرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة، ط ١.
- العقباوي، إسماعيل محمد، (2006)، علم لغة النَّصّ مدخل نظري، دار الحرم – مصر، ط ١.
- عياشي، منذر، (2004)، العلاماتية وعلم النَّصّ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب، د ط.
- فرج، حُسام أحمد، (2007)، نظرية علم النَّصّ رؤية منهجية في بناء النَّصّ النثري، مكتبة الآداب – القاهرة،ط ١.
- الفقي، صبحي إبراهيم، (2000)، علم اللُّغة النَّصّي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية في السور المكية، دار قباء – القاهرة، د ط.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (1988)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ،ط ١.
- قيّاس، ليندة (2009)، لسانيات النَّصّ النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب – القاهرة، ط ١.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (2004)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، دار الكتب المصرية – القاهرة، د ط.